﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: 285]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ذِكْرُ كمالِ العبوديَّةِ بعد ذِكْرِ كمالِ الرُّبوبيَّةِ

لَمّا بَيّنَ اللّهُ سبحانَه وتعالى في الآية المُتَقدِّمةِ، كمالَ المُلْكِ وكمالَ العلمِ، وكمالَ القُدرةِ له سبحانه، وذلك يُوجِبُ كمالَ صفاتِ الرُّبوبيَّة؛ أَتْبَعَ ذلك بأنْ بَيَّنَ كَوْنَ المؤمنين في نهايةِ الانقيادِ والطَّاعةِ والخضوعِ للّه تعالى، وذلكَ هو كمالُ العبوديَّةِ، وإذا ظَهَرَ لنا كمالُ الرُّبوبيَّةِ، ظَهَرَ مِنَّا كمالُ العُبوديَّةِ[1]، كما أنَّه سُبْحانه وتعالى لَمَّا ذَكَرَ أحكامًا كثيرةً، خَتَمَها بتَعظيم نبيّه (ﷺ) والإشادة بعقيدة أَتْباعِهِ، تأكيدًا وفَذْلَكَةً[2] لجميعِ ذلك المَذْكورِ مِنْ قَبْلُ[3]، وبيان إيمان الرّسول والمؤمنين بالكتب السّماوية، وبالرُّسل الكرام المكلّفين بالبلاغ عن اللّه، دون تفريق أو تفضيل في أصل الرّسالة والتّشريع، مع إبداء ما تفضل اللّه به على هذه الأمّة من التّكاليف السّمحة الحنيفيّة الّتي لا يعتورها ضيق، ولا يخالطها حرج[4].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَمِعۡنَا﴾: أَيْ أَدْرَكْنَاهُ بأسماعنا وفَهِمْناهُ، يُقالُ: سَمِعَ سَمْعًا

(1) الرّازيُّ، مفاتيح الغيب: 7/105.

(2) الفَذْلَكَةُ: إجمالُ المعنى في عبارةٍ مُوجزةٍ بعدَ بَسْطه في عبارةٍ طويلةٍ، فهي خلاصةُ ما فُصِّلَ، أو مجملُه، أهمله الجوهريّ، وصاحب اللّسان، ينظر: الزَّبيديّ، تاجُ العَروس: (فَذلَكَ)، وقيل: هي كلمة مخترعة من قوله أي: الحاسب إذا أجمل حسابه: فذلك كذا وكذا عددا، وكذا وكذا قفيزا، الزَّبيديّ، تاج العروس من جواهر القاموس: 27/293، ومن فذلكة الحساب قوله تعالى ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾، بعد قوله ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ﴾ [البقرة: 196]، نصّ عليه في البيضاويّ وحاشيته لمولانا عصام الدّين، فالفذلكة مأخوذة من قولهم فذلك كذا، كالبسملة والحمدلة والله أعلم. ينظر التّهانويّ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 2/1265.

(3) الآلوسيُّ، روحُ المعاني: 2/64، والقاسِميُّ، محاسِنُ التّأويلِ: 2/240، وابنُ عاشور، التّحريرُ والتّنويرُ: 3/131.

(4) الزّحيلّي، التّفسير المنير: 3/132.

وسَماعًا، وأصلُ السَّمْعِ: إيناسُ الشَّيْءِ بِالأُذُنِ، ويُعَبَّرُ تارةً بِالسَّمْعِ عن الأُذُنِ نحو: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: 7]، وتارةً عن فِعْلِهِ كالسَّماعِ نحو: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: 37]، وتارةً عن الفَهْمِ، وتارةً عن الطَّاعةِ، تَقولُ: اسْمَعْ ما أقولُ لكَ، ولم تَسْمَعْ ما قُلْتُ، وتَعْني لم تَفْهَمْ، والمَعْنى هنا: فَهِمْنا ما جاءنا من الحقِّ، وتَيَقّنَّا بصحَّتِهِ[1]، ويعبّر تارة بالسّمع عن الأذن، نحو: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: 7]، وتارة عن فعلهم كالسّماع، نحو: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشّعراء: 212]، وتارة عن الفهم، وتارة عن الطّاعة، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: 285]، أي فهمنا[2].

2) ﴿وَأَطَعْنَا﴾: امْتَثَلْنا، يُقَالُ: طَاعَهُ يَطُوعُهُ، إِذَا أَذْعَنَ وانْقَادَ له، وامْتَثَلَ أمرَه، وأصلُ طَوَعَ: يَدُلُّ على الإِصْحابِ والانْقِيَادِ، والمعنى هُنا: امْتَثَلْنا أمرَكَ[3]، والطّوع الانصياع والانقياد، ويضادّه الكَرْهُ، قال تعالى: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصّلت: 11]، وقوله أيضا: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: 83]، والطّاعة مثل الطّوع، ولكنّ الطّاعة أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر، والارتسام فيما رسم، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ [النّساء: 81][4].

3) ﴿غُفْرَانَكَ﴾: أي: اغفرْ مَغْفرتَكَ، يُقالُ: غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ، غَفْرًا وَغُفْرانًا وَمَغْفِرَةً، والمَغْفِرَةُ: هي السَّتْرُ لخَلَّةِ المُسْلِمِ وفاقَتِه، وترْك أذيَّتِه، وأصْلُ الغَفْرِ: السَّتْرُ والتَّغطيةُ والوِقايةُ، وغَفَرتُ الشَّيءَ: إذا غَطَّيتَهُ، والمعنى هُنا: نَطْلُبُ ونَسألُ مَغْفِرتَك[5]، وقوله: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾، يعني: وقالوا: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾، بمعنى: اغفر لنا ربّنا غفرانك، كما يقال: (سبحانك)، بمعنى: (نسبّحك سبحانك)، و (الغفران) و(المغفرة)، السّتر من اللّه على ذنوب من غفر له، وصفحه له عن هتك ستره بها في الدّنيا والآخرة، وعفوه عليه فلا يعاقبه[6].

---

(1) الرّاغِبُ، المفرداتُ: (سمع)، والسَّمِيْن، عُمدَةُ الحُفّاظِ، وابنُ منظور، لِسانُ العَرَب، وابنُ فارِس، مقاييسُ اللّغة: (سمع)، وأبو السُّعود، إرشادُ العَقلِ السّليمِ: 1/276، والقِنَّوجيُّ، فَتحُ البَيانِ: 2/162.

(2) الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: مادّة: (سمع).

(3) الرّاغِبُ، المفردات، والجَوهَريُّ، الصّحاح، وابن فارِس، مقاييسُ اللّغة، وابن الأثير، النِّهايَةُ: (طوع)، وأبو السّعود، إرشادُ العَقلِ السّليمِ: 1/276.

(4) الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (طوع).

(5) الرّاغِبُ، المفردات، وابن فارِس، مقاييسُ اللّغة، والسّمِيْن، عُمدَةُ الحُفّاظ: (غفر)، والسِّجِستانيُّ، غَريبُ القُرآنِ، ص: 354، وابنُ الهائِم، التِّبيانُ، ص: 117.

(6) ابن جرير، جامع البيان: 6/127.

4) ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾: أَي المَرْجِعُ وَالمَعَادُ، يُقالُ: صِرْتُ إلى فُلانٍ، أَصِيرُ مَصِيرًا، وصار إلى كذا: انتهى إليه، وأصلُ المصيرِ: هُوَ المآلُ وَالمَرْجِعُ الّذي يَنتهي إليه في تَنَقُّلِه وتَحَرُّكِه، والمعنى هنا: المَرْجِعُ إليكَ في كلِّ شُؤونِنا في الدُّنيا والآخرة[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الإيمان بالقرآن يُفْضِي إلى الإيمان بما جاء به الرّسل عبر الزّمان

بيان إيمان رسول الله الخاتم مُحَمَّدٍ ﷺ، بما أُوحِيَ إليه من ربِّه، وتأكيد إيمان المؤمنين بذلكَ، في تصديق راسخٍ، بأصول الاعتقاد الكليّة، إقرارًا باللّه رَبًّا، مُتَّصِفًا بصفاتِ الجلالِ والكمالِ، وإيمانًا بملائكتِه الأبرار، وبكُتبِه الزّاخرة بالأنوار، وبرُسُلِه الحاملين لهداية السّماء بأقدس الأسرار؛ وهُمْ في ذلك، لا يفرّقون بَيْنَ رُسُلِ اللّه، في الإيمانِ بهم وتعظيمِهم، مؤكّدين إيمانَهم باللّسان والوجدان، مُتَّجهينَ إلى اللّه في طاعة وخضوع، وهم يقولون: ربَّنا سَمِعْنا تَنزيلَكَ المُحْكَمَ، واسْتَجَبْنا لِمَا فيهِ، فامْنَحْنا اللَّهمَّ مَغفرتَكَ، فإنَّ مَرْجِعَنا إليكَ وحدَكَ، في الحال والمآل[2].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نكتةُ الاستئنافِ الابتدائيّ في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾:

إيذانٌ بانتهاءِ السُّورةِ لأنَّه انتقالٌ من التَّشريعِ إلى الثَّناءِ

جُمْلَةُ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ، وُضِعَتْ في هذا المَوْقِعِ لِمُنَاسَبَةِ مَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ انْتِقَالٌ مُؤْذِنٌ بِانْتِهَاءِ السُّورَةِ؛ لِأَنَّهُ انْتِقَالٌ مِنَ المَوَاعِظِ وَالإِرْشَادِ وَالتَّشْرِيعِ، وَمَا تَخَلَّلَ ذَلِكَ؛ مِمَّا هُوَ عَوْنٌ عَلَى تِلْكَ المَقَاصِدِ، إلى الثَّنَاءِ على رَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِينَ

(1) الرّاغِبُ، المفردات، والسَّمِيْن، عُمدَةُ الحُفّاظ، وابن الأثير، النِّهايَةُ، وابنُ فارِس، مقاييسُ اللُّغة: (صير)، وابنُ منظور، لِسانُ العَرَب، والزَّبيديُّ، تاجُ العَروسِ: (عود)، والخضيريُّ، السِّراجُ، ص: 270، ومقاتلُ بن سليمان، تفسير مقاتِل: 1/232.

(2) لَجنَةٌ مِن عُلَماءِ الأَزهَر، المنتَخَبُ في تَفسيرِ القُرآنِ الكَريم، ص: 69، ونُخبَةٌ مِن أساتِذَةِ التَّفسير، التَّفسيرُ المَيَسَّرُ، ص: 49، وجَماعَةٌ مِن عُلَماءِ التَّفسير، المختَصَرُ في تَفسيرِ القُرآنِ الكَريم، ص: 49.

في إيمانِهِمْ بِجَمِيعِ ذَلِكَ إِيمَانًا خَالِصًا يَتَفَرَّعُ عَلَيْهِ العَمَلُ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ بِالرَّسُولِ وَالكِتَابِ يَقْتَضِي الِامْتِثَالَ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ، فَهُوَ كَالحَاصِلِ وَالفَذْلَكَةِ، فَقَدْ أَشْعَرَ بِأَنَّهُ اسْتَوْفَى تِلْكَ الأَغْرَاضَ[1].

بيانُ مظاهرِ تعظيمِ النَّبيِّ ﷺ وخصوصيَّة إيمانه:

وذلكَ يَظْهَرُ في أمورٍ عدَّة:

الصِّيغةُ والتَّعريفُ والوصفُ والتَّفخيمُ والتَّقييدُ والتَّقديمُ هنَّ خوادِمُ عظمتِه

أوَّلًا: التَّعْبيرُ بصيغةِ الفعل المَاضي: ﴿ءَامَنَ﴾ يَدُلُّ على رُسوخ الإيمانِ، وهو شهادةٌ وتَنصيصٌ من اللهِ تعالى، على قُوَّةِ إيمانِ نبيِّه ﷺ الفائقِ على إيمانِ غيرِه من الأَنْبياءِ والمرسلينَ والمَلَائكةِ المُقرَّبينَ[2].

ثانيًا: دخول (ال) على لفظة الرَّسول، بناءً على أن اللَّامَ فيه لِلْعهدِ أو للجِنْسِ، والمُرَادُ به الفردُ الكاملُ، كأنَّ جِنْسَ الرَّسُولِ مُتَحَقِّقٌ فيه ﷺ عَلَى وَجْهِ الكَمالِ[3].

ثالثًا: التَّعْبيرُ بالرِّسالة؛ للإيذانِ في أَوَّلِ الأمرِ بأنَّه صاحبُ كِتابٍ مَجيدٍ وشَرْعٍ جَديدٍ، ويُفْهَمُ مِنْهُ: أنَّ شَرْعَه ناسِخٌ لجميع الشَّرائعِ، والمُرَادُ بما أُنزِلَ إليهِ: الْقُرْآنُ بأَسْرِهِ، والشَّريعةُ عَنْ آخِرِها[4].

رابعًا: التَّعْبيرُ بـ ﴿بِمَآ﴾ مع بناء الفعل ﴿أُنزِلَ﴾ للمفعول؛ تَفْخيمًا لأمر المُنْزِلِ، وفيه أيضًا: تَحقيقٌ لكَيفيَّة إيمانه ﷺ، وتَعيينٌ لِعُنوانِه، أي: آمَنَ ﷺ بكلِّ ما أُنْزِلَ إليهِ[5].

خامسًا: تقييدُه بـ ﴿مِن رَّبِّهِۦ﴾ مع أنَّه معلومٌ؛ للزِّيادةِ في التَّعظيم، واسمُ الرَّبِّ أَوْقَعُ هنا؛ لأنَّ الإنْزَالَ بما يُحيي القُلُوبَ، ويَشْفي ما في الصُّدورِ من العُيوبِ، وهو من آثارِ التَّرْبيَةِ مِنْ عَلَّامِ الغيوبِ، بما أَنزَلَه على رسوله الكَريمِ، تَشْريفًا له وتعظيمًا[6].

(1) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنويرُ: 3/131.
(2) البَيضاويُّ، أَنوارُ التَّنزيلِ: 1/166، والقُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/499.
(3) القُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/498.
(4) ابنُ التَّمْجيدِ، حاشيَةُ ابنِ التَّمْجيدِ على البَيضاويِّ: 5/498.
(5) أبو السُّعود، إرشادُ العَقلِ السَّليمِ: 1/273.
(6) القُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/498.

سادسًا: تقديمُ ذِكْرِ إيمانِه ﷺ؛ لِأَنَّ إِيمَانَهُ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ، وَإِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ مُتَأَخِّرٌ عَنْ إِيمَانِهِ، إِذْ هُوَ الْمَتْبُوعُ، وَهُمُ التَّابِعُونَ فِي ذَلِكَ[1]، فقُدِّمَ المؤمنُ به على المعطوفِ؛ اعتناءً بشَأنِه، وإيذانًا بأَصالته عليه السلام في الإيمانِ[2]، ولأنَّ إيمانَه عن مُشاهَدةٍ وعِيانٍ، وإيمانَهم عن نَظَرٍ وبُرْهانٍ[3].

بديع الجناس في ذكر وصف المؤمنين بالإيمان:

تـوكـيـد معنى اسـتـجـابـة المؤمنين وتقويته

التَّجْنِيسُ الْمُغَايِرُ بين لفظتَي: ﴿ءَامَنَ﴾ و ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ﴾[4] جِيءَ به لتوكيدِ معنى الاستجابةِ والانقيادِ وتقويتِهما، فالْمُؤْمِنُونَ - هُنا - لَقَبٌ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلِذَلِكَ كَانَ فِي جَعْلِهِ فَاعِلًا لِقَوْلِهِ: ﴿ءَامَنَ﴾ فَائِدَةٌ، مَعَ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِي قَوْلِكَ: قَامَ الْقَائِمُونَ[5].

تَوْجِيهُ مُتَعَلَّقِ التَّنوينِ والتَّنْكيرِ في لَفْظَةِ: ﴿كُلٌّ﴾:

بيانُ إيمانِ كلِّ واحـد مـن غير اعتبار الاجتماعِ تـمـيـيـزًا لإيمان النَّبـيِّ ﷺ عن إيمان غيره

لفظَةُ (كلّ) من ألفاظِ العمومِ التي تَصْلُحُ للإحاطةِ، ولَمَّا وَرَدَتْ هنا بعدَ قولِه ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ﴾، دَلَّ ذلكَ على إحاطتِها بمَنْ ذُكِرَ[6].

وَإِذ كَانَتْ ﴿كُلٌّ﴾ مِنَ الأَسْمَاءِ الْمُلَازِمَةِ الإِضَافَةَ؛ فَإِذَا حُذِفَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ نُوِّنَتْ تَنْوِينَ عِوَضٍ عَنْ مُفْرَدٍ[7]، فكان المعنى: كلُّ واحدٍ مِنْهُمْ؛ ولذا قيلَ: ﴿ءَامَنَ﴾ دُونَ (آمنوا)، فَتَوْحِيدُ الضَّمِيرِ في ﴿ءَامَنَ﴾ مع رجوعه إلى كلِّ المؤمنين؛ لأنَّ المرادَ بيانُ إيمانِ كلِّ فردٍ منهم من غيرِ اعتبارِ الاجتماعِ، كما اعتُبِرَ ذلكَ في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النَّمل: 87]، وتغييرُ سبْكِ النَّظم الكريم عمَّا قبلَه؛ لتأكيدِ الإشعارِ بما بينَ إيمانِه ﷺ، المَبنيِّ على المُشاهدةِ

(1) أبو حَيّانَ، البَحرُ المحيطُ: 2/756.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقلِ السّليم: 1/275.
(3) القُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/498، وابنُ التَّمجيدِ، حاشيَةُ ابنِ التَّمجيدِ على البَيضاويِّ: 5/498.
(4) أبو حَيّانَ، البَحرُ المحيطُ: 2/767.
(5) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنويرُ: 3/132.
(6) ابن عَطيّةَ، المحرَّرُ الوَجيزُ: 1/391.
(7) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنويرُ: 3/132.

والعِيانِ، وبينَ إيمانِهم النَّاشِئِ عن الحُجَّةِ والبرهانِ، من التَّفاوتِ البَيِّنِ والاختلافِ الجليِّ، كأنَّهما مُختلفان مِنْ كلِّ وجهٍ، حتّى في هيئة التّركيبِ الدّالِّ عليهما، وما فيه من تكريرِ الإسنادِ لِمَا في الحُكم، بإيمانِ كلِّ واحدٍ منهم على الوجْه الآتي، من نوعِ خفاءٍ مُحوِجٍ إلى التَّقويةِ والتَّأكيدِ، أيْ: كُلُّ واحدٍ منهم آمَنَ[1].

تَرْتيبُ مراتب الإيمان وأُصولِهِ:

جاءَ التَّرْتيبُ في قولِه تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ في غَايَةِ الفَصَاحَةِ؛ لِأَنَّ الإيمَانَ باللّه هو المَرْتَبَةُ الأُولَى، وَهِيَ الَّتِي يَسْتَبِدُّ بِهَا العَقْلُ؛ إِذْ وجودُ الصَّانعِ يُقِرُّ به كلُّ عَاقِلٍ، وَالإِيمَانُ بِمَلَائِكَتِه هِيَ المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ؛ لِأَنَّهُمْ كَالوَسَائِطِ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِه، وَالإِيمَانُ بِالكُتُبِ هُوَ الوَحْيُ الَّذِي يَتَلَقَّنُهُ المَلَكُ مِنَ اللَّهِ، ويوصِلُهُ إِلَى البَشَرِ هِيَ المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ، وَالإِيمَانُ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ يَقْتَبِسُونَ أَنْوَارَ الوَحْيِ فَهُمْ مُتَأَخِّرُونَ فِي الدَّرَجَةِ عَنِ الكُتُبِ، وهِيَ المَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ[2]، ولم يَذْكُرِ الإيمانَ باليَوْمِ الآخر؛ لاندراجِه في الإيمانِ برُسلِه وبكُتُبِه، فحِينَئِذٍ يكون الإيمانُ بالآخرَةِ مَذكورًا ضمنًا؛ فلا حاجةَ إلى توجيه عَدَمِ ذِكْرِه[3].

الـتَّرابُـطُ الوثيق بين المراتب، فلا يَـصِـحُّ الإيـمـانُ بـالـلَّاحـقـة إنْ لـم يـتـحـقَّـق بالسَّابقة

توجيه القراءات القرآنيَّة في قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾:

قَرَأَ الجُمْهُورُ[4] بالنُّونِ: ﴿نُفَرِّقُ﴾، وَقَرَأَهُ يَعْقُوبُ بالياءِ: ﴿يُفَرِّقُ﴾، والنُّونُ على قراءة الجُمْهُورِ تحتملُ معنَيَيْن: الأوَّل: أنَّها نُونُ المُتَكَلِّم المُشَارِك: وحينئذٍ يَحْتَمِلُ الالْتِفَاتَ، بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَقُولِ قَوْلٍ مَحْذُوفٍ، دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، وَ ﴿وَقَالُواْ﴾ معطوفةٌ عَلَيْه؛ الثَّاني: النُّونُ فِيهِ لِلْجَلَالَةِ، أَيْ: آمَنُوا فِي حَالِ أَنَّنَا أَمَرْنَاهُمْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّنَا

الـلـه سبحانه وتـعـالى أمـرَ المؤمنين بعدمِ الـتَّـفـريـقِ بين رسلِه

(1) أبو السُّعود، إرشادُ العَقلِ السَّليمِ: 1/274، والقُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/499.
(2) أبو حَيّانَ، البَحرُ المحيطُ: 2/756، والآلوسيُّ، روحُ المعاني: 2/65.
(3) القُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/502.
(4) ابن الجزريِّ، النَّشرُ: 2/237.

لَا نُفَرِّقُ، فَالجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ، وقد يكونُ مَقُولًا لِقَوْلٍ مَحْذُوفٍ، دَلَّ عَلَيْهِ ﴿ءَامَنَ﴾؛ لِأَنَّ الإيمَانَ اعْتِقَادٌ وَقَوْلٌ، وَمعنى قراءَةِ يَعْقُوبَ: أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[1].

وجهُ ذِكْرِ التَّفريق في شأن الإيمان بالرُّسل:

إظهارٌ لكمالِ إيمان القائلين وتأكيدٌ ليقينهم

ذكرَ اللّه سبحانه وتعالى عدمَ التَّفريقِ بين الرُّسُلِ، باعتبارِ أنَّ بعضَ الْكُفَّارِ: يَقُولون نُؤمِنُ ببعضٍ ونَكفرُ بِبَعْضٍ، أيْ: نُؤمِنُ ببعضِ الأشياءِ ونكفرُ ببعضٍ، فيقولُ المُؤْمِنُونَ ذلك؛ إظهارًا لكمالِ إيمانِهم، وتَحْصيلًا لاعْتداد إيقانِهم، على أنَّه يَسْتَلزِمُ عَدَمَ تَفْرقتِهم بَيْنَ الكُتُبِ دونَ العكسِ؛ ولأنَّ بَعْضَ الرُّسُلِ لا كِتابَ لهم، فيُمكِنُ أنْ يَتَحَقَّقَ عدمُ التَّفْرقةِ بَيْنَ الكتبِ والتَّفرقةِ بين الرُّسُلِ، بأنْ يَكْفُرُوا بِبَعْضِ الرُّسُلِ الّذينَ لا كتابَ لهم، مع الإيمانِ بجميع الكُتُبِ والرُّسُلِ الّذينَ أُنزِلَتْ تلك الكُتُبُ إليهم[2].

والمُرَادُ نفي الفَرْقِ بالتَّصديقِ والتَّكْذيبِ[3]؛ وأمَّا الفَرْقُ بينهم بِتَفْضيلِ بَعضِهم عَلَى بعضٍ؛ فلازمٌ على الإجمالِ، كما قال تعالى: ﴿۞تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[4].

سِرُّ التَّعبير عن الامتثال بالسَّماع في قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا﴾:

الاستجابةُ بذكرِ دليلِ الطَّاعة وهو السَّماعُ، والتَّعريضُ بالمشركين

السَّمْعُ في قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا﴾ كِنَايَةٌ عَنِ القَبُولِ وَالِامْتِثَالِ والإجابةِ[5]، أو مَجازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُه السَّببيَّةُ؛ فَذَكَرَ السَّبَبَ، وأُريدَ المُسَبَّبُ، وهو الإجابةُ؛ إذ لا ثناءَ للسَّمْعِ بدون إجابةٍ وامتثالٍ[6]، فالمَعْنَى: إنَّهُمْ آمَنُوا، وَاطْمَأَنُّوا وَامْتَثَلُوا[7]؛ فَهُوَ مَدْحٌ يَقتضي الحَضَّ

(1) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنويرُ: 3/133.
(2) القُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/501.
(3) البَيضاويُّ، أنوارُ التَّنزيلِ: 1/166.
(4) القُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/501.
(5) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنويرُ: 3/133.
(6) البَيضاويُّ، أنوارُ التَّنزيلِ: 1/166، والقُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/501-502.
(7) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنويرُ: 3/134.

على هذه المَقالةِ، وأنْ يكونَ المؤمنُ يمتثلُها غابرَ الدَّهرِ، والطَّاعةُ: قَبولُ الأوامرِ وامتثالُها[1].

والغرضُ هو بيانُ سرعةِ الإجابةِ، وعدم التَّفريطِ في شيءٍ منه؛ إذ إنَّ السَّماعَ مُقدَّمٌ على الإجابة، فذِكْرُه بدلًا من الإجابة؛ إشارةٌ إلى أنَّ جميعَ ما تلقَّتْه الأذُنُ قد قاموا به خيرَ قيامٍ، دونَ تأخيرٍ أو تبديلٍ أو نقصانٍ، وهو دليلٌ على الاستجابةِ والامتثالِ، وفيه تعريضٌ بالمشركين الذين لم تنفعْهم أسماعُهم.

سِرُّ التَّعبير بصيغة الماضي دون المضارعِ:

بَـيـانُ رُسـوخ الإيـمـانِ وقِـدَمِ امـتـثـالـهـم وطاعتهم

جِيءَ بِلَفْظِ الماضي في قولِه: ﴿سَمِعْنَا﴾ دُونَ المُضَارِعِ؛ لِيَدُلُّوا عَلَى رُسُوخِ ذَلِكَ، لا أَنَّهُمْ أَرَادُوا إِنْشَاءَ القَبُولِ وَالرِّضَا، وَصِيَغُ العُقُودِ وَنَحْوِهَا تَقَعُ بِلَفْظِ المَاضِي نَحْوَ: بِعْتُ[2]، كما أنَّ صيغةَ الماضي هُنا للاسْتِمْرَار؛ لأنَّه قد وَقَعَ فيما مضى، ولم يَعْرِضْ له ما يُنافيه، فَيَلْزَمُ الاسْتِمْرَار[3].

نكتةُ حَذْفِ المفعول في قوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾:

تـعـمـيـمُ الاسـتـجـابـة والامتثال لكلِّ أمـر مـن أوامـر الله

حُذِفَ مَفْعُولُ فعلَيْ ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، والمرادُ بالمفعولِ ما جاءَه الرَّسُولُ ﷺ من الحقِّ القَويمِ والشَّرعِ المُستقيمِ؛ ونكتةُ الحَذْفِ: التَّعميمُ مع الاختصار، أي: سَمِعْنا ما جاءَ في الكتابِ والسُّنَّةِ، وأطعنا (أمركَ) بالامتثالِ، والإعراضِ عن ضِدِّه[4].

دَلالةُ المصدرِ وسرُّ إضافته في قوله: ﴿غُفْرَانَكَ﴾:

إظـهـار شـدّة الـحـاجـة إلى المطلوب، وبيان عِـظَـمـه أمـام ذنوبهم

الغُفرانُ مصدرُ: غَفَرَ يَغْفِرُ غَفْرًا ومَغْفِرةً وغُفْرانًا؛ يَدُلُّ على سَتْرِ اللهِ الذُّنوبَ لحمايةِ مُرْتكبِها من العذابِ، ولم يَرِد مصدرُ

(1) ابن عَطيَّة، المحرَّرُ الوَجيزُ: 1/392.
(2) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنويرُ: 3/134.
(3) البَيضاويُّ، أنوارُ التَّنزيلِ: 1/166، والقُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/502.
(4) القُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/502.

(الغُفران) في القرآن الكريم إلّا في هذا الموضِع[1]؛ للدَّلالةِ على أنَّه مِنْ خصائصِ دعاء المؤمنينَ، فلا يَنبغي لأحدٍ أن يَطلبَ الغفرانَ مِن أحدٍ غيرِ اللّٰهِ تعالى.

تفخيم شأن المغفرة وتعظيم أمرها

قولُه: ﴿غُفْرَانَكَ﴾ أي: اغْفِرْ لنا غُفْرانَكَ، أو نَطْلُبُ غُفْرانَكَ[2]؛ فيكونُ مَفْعُولًا مُطْلَقًا، والإضَافَةُ هنا للتَّفخيمِ[3].

نُكْتَةُ تقديم السَّمع على الطَّاعة؛ وتقديمها على طلب المغفرة:

تَقَدُّم ذكرِ الوسيلة على ذكرِ المسؤول أقربُ إلى الإجابة والقبولِ

قُدِّمَ ذِكْرُ السَّمعِ على الطَّاعةِ في قولِه تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ﴾؛ لتَقَدُّمِ العامِّ على الخاصِّ، أو لأنَّ التَّكليفَ طريقُه السَّمْعُ، والطَّاعةُ بعدَه، وتقديمُ ذِكْرِهما على طلبِ الغُفْرانِ؛ لِمَا أنَّ تَقَدُّمَ الوَسيلةِ على المسؤولِ أقربُ إلى الإجابة والقَبولِ[4].

كما أنَّ في ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ﴾ إشَارَةً إلَى الحالِ، وَفي ﴿غُفْرَانَكَ﴾، وَمَا بَعْدَهُ إشَارَةً إلَى المَعَادِ[5].

سِرُّ عدمِ الإشارةِ إلى ما يدلُّ على استجابة الدَّعوات:

الإيذانُ بأنَّ أمرَ إجابتها مُتَحقِّقٌ مَفروغٌ منه

لم يتعرَّضْ في هذه الآيةِ إلى بيانِ فَوزِ المؤمنين بمَطالبهم، الّتي من جُمْلتِها ما حُكِيَ عنهم مِنَ الدَّعواتِ؛ إيذانًا بأنَّه أمرٌ مُحقَّقٌ غنيٌّ عن التَّصريحِ[6].

دلالةُ التَّذييلِ في قوله: ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾:

في قوله: ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ تذييلٌ لِمَا قبله، مُقرِّرٌ للحاجة إلى المغفرة؛ لأنَّ الرُّجوعَ يكونُ للحسابِ والجزاءِ[7].

---

(1) عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص: 502.
(2) البَيضاويُّ، أنوارُ التَّنزيلِ: 1/166.
(3) القُونَويُّ، حاشيةُ القُونَويِّ على البَيضاويِّ: 5/502، والآلوسيُّ، روحُ المعاني: 2/66.
(4) الآلوسيُّ، روحُ المعاني: 2/66.
(5) أبو حَيّانَ، البَحرُ المحيطُ: 2/757.
(6) أبو السُّعود، إرشادُ العَقلِ السّليمِ: 1/273.
(7) أبو السُّعود، إرشادُ العَقلِ السّليمِ: 1/276، والقاسِميُّ، محاسِنُ التَّأويلِ: 2/241.

بـيـانُ تَـيَـقُّـن المؤمنين بالمَعَادِ، وشِدَّةِ حاجتهم إلى مغفرة ربِّ العباد

كما أنَّه إقرارٌ منهم بالبَعْثِ[1]، ودلَّ على هذا الإقرارِ تَقْديمُ المَجْرُورِ المُفيدِ للْحَصْرِ: أَيِ: الْمَصيرُ إِلَيْكَ، لَا إِلَى غَيْرِكَ، وَهُوَ قصرٌ حَقِيقِيٌّ قَصَدُوا بِهِ لَازِمَ فَائِدَتِهِ، وَهُوَ: أَنَّهُمْ عَالِمُونَ مُتَيقِّنونَ بِأَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ، وَلَا يَصِيرُونَ إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ يَعْبُدُهُمْ أَهْلُ الضَّلَالِ، وقد يكونُ هذا التَّذْييلُ مَجازًا عَنْ تَمَامِ الِامْتِثَالِ وَالإِيمَانِ؛ كَأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ آبِقِينَ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى اللَّه، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذّاريات: 50]، وَجَعْلُ الْمَصِيرِ إِلَى اللَّه تَمْثِيلًا لِلْمَصِيرِ إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ[2]، كَقَوْلِهِ: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ﴾ [النُّور: 39].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإنزال والتَّنزيل:

الإنزالُ دَفْعِيٌّ، والتَّنزيلُ تَدريجيٌّ

الإنزالُ على ما يكون دَفعةً واحدةً[3]، ويُطلقُ التَّنزيلُ على ما يكونُ مُفرَّقًا أو تَدْريجيًّا، فالإنزالُ دَفْعِيٌّ، والتَّنزيلُ تَدريجيٌّ، قال اللّه تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: 3]؛. وهذا لأنَّ حُكْمَ القرآنِ الكريم مُؤَبَّدٌ، وهو مُناسِبٌ لـ (نزَّل)؛ فإنَّه بِنَاءٌ للمُبالغة، ولِمَا في التَّنزيل من معنَى التَّدريج، فبَينَ (الإنزال) و(التَّنزيل) عُمُومٌ وخُصُوصٌ، والإنْزالُ أَعَمُّ مِنْهُ؛ لأنَّه قد يَدُلُّ على معنى التَّدْريج، وقد لا يَدُلُّ[4]. ولا يُشْكِلُ على هذا الفَرْقِ وقوعُ التَّعبيرِ عنْ نُزولِ القُرآنِ الكريم بالفِعْلَيْنِ معًا؛ وذلكَ لأنَّ لِلْقُرْآنِ الكريمِ نُزولَيْنِ، دَفْعِيًّا إلى السَّماءِ الدُّنيا، وتَدْريجيًّا بحَسَبِ الوَقائعِ والأحداثِ[5].

(1) البَيضاويُّ، أَنوارُ التَّنزيل: 1/166، وأَبو حَيّانَ، البَحرُ المحيطُ: 2/759.
(2) ابن عاشور، التَّحريرُ والتَّنويرُ: 3/134.
(3) السَّمين، عمدة الحفّاظ: (نزل)، وأبو هلال العسكريُّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 79، والجِرجانيُّ، التَّعريفات، ص: 68، والخَفَاجيُّ، عناية القاضي: 1/3.
(4) الراغب، المفرداتُ: (نزل).
(5) أبو شامة، المرشِدُ الوَجيزُ، ص: 17، والسُّيوطيُّ، الإتقان: 1/146.

السَّماع والاستماع والإنصات:

الاستماعُ لِمَا كَانَ بِقَصْدٍ ولَا يَكُونُ إلَّا بِالإِصْغَاءِ، والسَّماعِ يَكُونُ بِقَصْدٍ وَدُونَهُ

السَّماعُ وكذا السَّمْعُ: مُطْلَقُ إدراكِ الحروفِ والأصواتِ، والاسْتِماعُ طَلَبُ السَّمْعِ بالإصغاءِ بالأُذُنِ، أيْ: تَقَصُّدُ السَّماعِ، والسَّمْعُ ثلاثُ دَرَجاتٍ: إحساسٌ بالصَّوتِ دونَ فَهْمٍ، كسَماعِ الدَّوابِّ السَّارحةِ إذا دَعاها راعيها إلى ما يُرشِدها، فلا تَسْمَعُ إلّا دعاءَه ونِداءَه، ولا تَفْهَمُ ما يَقولُ[1]، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: 171]، وإحساسٌ بالصَّوتِ مع الفَهْمِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: 75]. وإحساسٌ بالصَّوتِ مع الفَهْمِ والاقْتناعِ والإيمانِ والطَّاعةِ، وهي أعلى دَرَجاتِ السَّمْعِ الّتي تُمنَحُ للمؤمنينَ، كما في قوله تعالى: ﴿*إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: 36] وقال تعالى: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الرُّوم: 81]. والاستماعُ يكونُ على درجتَين: الأولى: استماعُ انْتفاعٍ وانْقيادٍ وطاعةٍ، وهو استماعُ المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزُّمر: 18]، وهناكَ اسْتماعٌ لايَنْتُجُ عنه انتفاعٌ ولا قَبولٌ ولا انقيادٌ، وهو استماعُ الكافرِ والمُنافقِ، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس: 42]، فَهُمْ في هذهِ المَنْزِلَةِ كالبهائمِ في عَدَمِ الانْتفاعِ، وإنْ كان الفَرْقُ بَيْنَهُمَا بأنَّ مُسمَّى الاسْتماعِ مَوجودٌ في الكَفَرَةِ دونَ البهائمِ[2]. وأمَّا الإنصاتُ: فهو تَرْكُ الأشغالِ، والسُّكوتُ والتَّفرُّغُ للاسْتماعِ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: 204]، فالإنصاتُ يكونُ بتَرْكِ التَّحدُّثِ، أو الاشتغالِ بما يَشْغَلُ عن الاستماعِ، وأمَّا الاسْتماعُ له فهو: أنْ

(1) ابنُ عَطيَّةَ، المحرَّرُ الوَجيزُ: 1/238، والثَّعالبِيُّ، الجَواهِرُ الحِسانُ: 1/355.
(2) البَيضاويُّ، أنوارُ التَّنزيلِ: 3/114، وابنُ التَّمْجيدِ، حاشيَةُ ابنِ التَّمجيدِ على البَيضاويِّ: 9/472.

يُلقِيَ سَمْعَه وقَلْبَه، ويَتدبَّرَ ما يَسْتَمِعُ إليه[1]، فالإنْصاتُ: السُّكوتُ والسُّكونُ، وتَرْكُ الأَشْغالِ بقَصْدِ الاسْتماعِ، والاسْتِماعُ: قَصْدُ السَّماعِ بُغيةَ فَهْمِ المَسْموعِ، أو الاستفادةِ منه[2].

الطَّاعة والعبادة:

الطَّاعةُ مُطلقُ الانقياد، والعبادة الخضوع لله تعالى محبَّةً وتعظيمًا

الطَّاعةُ: الانقيادُ، وهي: الفعلُ الواقعُ على حَسَبِ ما أَرادَه المُريدُ، يُقالُ: طاعَه يَطُوعُهُ؛ إذا انْقادَ معه ومضى لأَمْرِه، وأكثرُ ما تُقالُ في الائْتِمارِ لما أُمِرَ، والارتسام فيما رُسِمَ، وتكونُ للخالقِ والمخلوقِ[3]. والعبادةُ هي: غايةُ الذّلِّ والخضوعِ مع المحبَّةِ والتَّعظيمِ، ولا تُسْتَحَقُّ إلّا بغايةِ الإنعامِ، ولهذا لا يَجوز أنْ يُعْبَدَ غيرُ اللّه تعالى، ولا تكونُ العبادةُ إلّا مع المَعرفةِ بالمَعبودِ، ولا تكونُ إلّا للخالق، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح: 3]، فَجَعَلَ العِبادَةَ وَالتَّقْوَى لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَجَعَلَ الطَّاعَةَ لِلرَّسُولِ[4]، والطّاعة الانقياد وهو لا يتصوّر إلّا بعد الأمر، فالفرق بين الطّاعة والعبادة أنّ الطّاعة فعل يعمل بالأمر لا غير، بخلاف العبادة[5]، فالطَّاعةُ: هي مُجرَّدُ المُوافقةِ للأمرِ، وهي أَعَمُّ من العبادةِ، لأنَّ العبادةَ غَلَبَ استعمالُها في تعظيمِ اللّهِ غايةَ التَّعظيمِ[6].

الغفران والمغفرة[7]:

الغفران مطلب المؤمنين في دعائهم، والمغفرة فضل غامرٌ، وعطاءٌ فيّاض

بلاغة القرآنِ تفرّق في الصِّيغة بين الغفران والمغفرة،؛ وكِلا المصدَرين (الغفران والمغفرة) يَدلّانِ على السَّتْرِ والتَّغطيةِ للذُّنوبِ، لحِمايةِ مُرتكبِها من العذاب، فقَيْدُ (الحماية) مُهِمٌّ جِدًّا في معنى

(1) السّعديُّ، تَيسيرُ الكَريمِ الرَّحمنِ، ص: 314.
(2) إسماعيل حَقّي، روحُ البَيانِ: 8/486.
(3) الرّاغِبُ، المفردات، وابنُ فارِس، مقاييسُ اللّغة: (طوع)، والعَسكَريُّ، الفُروقُ اللُّغَويّةُ، ص: 221
(4) ابن تَيميَةَ، مجموعُ الفَتاوى: 3/108.
(5) اسماعيل حقّي، روح البيان: 3/108.
(6) الكَفَويُّ، الكُلّيّاتُ، ص: 583.
(7) نصر سعيد، أثر السّياق في اصطفاء أحد المصادر المتعدّدة للفعل الواحد، ص: 205، وما بعدَها.

الغفرانِ، وقد قال الطَّبريُّ في معنى (الغفران) و (المغفرة): السَّترُ من اللّه على ذنوبِ مَنْ غَفَرَ له، وصفحُه له عَنْ هَتْكِ سَتْرِه بها في الدُّنيا والآخرةِ، وعفوُه عن العقوبةِ عليه[1]، وقد وردَ الغفرانُ مرّةً واحدةً، في القرآن، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: 285]، لكنّ المغفرة وردت ثمانيًا وعشرين مرّةً، وقد اختَلَفَ السِّياقُ على النَّحو الآتي:

أوّلًا: نَلْحَظُ أنَّ (الغفران) قد وقعَ في سِياق دعاء المؤمنين، لربِّ العالَمين.

ثانيًا: أنَّ الغُفرانَ سؤالُ العبادِ ربَّهم بصِفةٍ خاصّةٍ، دون سواه.

ثالثًا: وَقَعَتِ المغفرةُ في سِياقاتٍ مُتعدِّدَةٍ، غير الطَّلب أو السُّؤال أو الدُّعاء[2]، رابعًا: يُمكنُ أنْ تَصْدُرَ المغفرةُ - بمعناها اللُّغويِّ لا الشَّرعيِّ - من المَخلوقِ[3].

خامسًا: الغُفرانُ مَطلبُ المؤمنينَ، والمغفرةُ تفَضُّلُ اللّه ربّ العالمين.

سادسًا: الغُفران طمعٌ في كَرَمِ المنّان، والمَغفرة إسداءٌ بلا امتنان.

ومثال ذلك أنّه قد حثّ المُسارعينَ إلى المغفرةِ على تطلّب الجنّةِ بصيغة الإفراد ﴿وَجَنَّةٍ﴾ في قوله: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران: 133]، ثمَّ بصيغة الجمع ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾، في معرض التّفضّل والعطاء في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [آل عمران: 136].

المصير والمآب والمرجع:

هذه ألفاظٌ ثلاثةٌ مُتقاربةٌ في المعنى، فالمصيرُ: يَدُلُّ على التَّحوُّلِ إلى غايةٍ أو مَجْمَعٍ؛ ليكونَ المآلَ والمُنتهى، ومنه قوله تعالى: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، والمآبُ: رُجوعُ الشّيءِ إلى مُستَقَرِّه، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾، [آل عمران: 14]،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 6/128.

(2) المغفرة وردت في القرآن، في مُقابَلة العذابِ، كما في البقرة: 175، و الحديد: 20، واقترَنَتْ بذكر الجنَّةِ، كما في البقرة: 221 و آل عمران: 133، 136، و الحديد: 21، وبالرَّحمة، كما في آل عمران: 157، والنّساء: 96، وبالأجرِ العظيم، كما في المائدة: 9، والأحزاب: 35، والفتح: 29، والحجرات: 3، وبالأجرِ الكبير، كما في هود: 11، وفاطر: 7، ويس: 11، والملك: 12، وبالرِّزق الكريم، كما في الأنفال: 4، 74، والحجّ: 50، والنّور: 26، وسبأ: 4، وبالفَضل، كما في البقرة: 268، وجاءت المغفرةُ وعدًا من الله للمؤمنين، كما في محمّد: 15، كما جاءت خبرًا عن الله تعالى، كما في النّجم: 32، والمدّثّر: 56.

(3) مثال المغفرة -بمعناها اللُّغويِّ لا الشَّرعيِّ- من المَخلوقِ، قوله تعالى: ﴿۞قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾ [البقرة: 263].

وقولِه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّاغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢﴾ [النّبأ: 21، 22].

المـآبُ رجُـوعٌ إلى المُستقـرّ، والمرجعُ تحوّلٌ عن الاتّجاه إلى عكسه

والمرجِعُ: من الرُّجوعُ، وهو العَودُ إلى ما كان منه البَدْءُ، والرَّجْعُ: الإعادةُ؛ تحوّلٌ عن الاتّجاه أو الحالِ إلى عكسه، كما يحصل للماءِ في الغَدير؛ لأنَه مُحتَبَسٌ فيه لا ينسابُ بعيدًا، وكلُّ ما في القرآن مِنْ (تُرْجع، تُرْجَعون، يُرْجع، راجعون، مرجعكم، مرجعهم) فهي إلى اللّه [1] ﷻ.

وعليه فهناك سُمُوٌّ في اصطفاء البيانِ القرآنيِّ للألفاظِ المُنسَجِمَةِ مع سِياقها؛ فيُذكَرُ ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ في نهايةِ المطافِ، مع التَّركيز على معنى التَّحوُّلِ من حال إلى حالٍ عند المُنْتهى، كما في الآية الكريمة قيد المعالجة، فالمَصيرُ: الرّجعى إلى اللّه بعدَ الموتِ، وهو لفظٌ عامٌّ شاملٌ لمآلِ العبادِ في كلِّ حالٍ ومآل[2]؛ حيثُ دعاءُ المؤمنين المتدفّق، بمظاهر الخُشوعِ والإخباتِ، وتعظيمهم للبعث بعد الممات، حيث لقاءُ اللّه ربّ الأرض والسّماوات.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (صير)، (أوب)، (رجع).
(2) العليمي، فتح الرّحمن: 1/411.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»